التجربة الجزائرية في فهرسة مخطوطات العلوم الكونية
المكتبة الوطنية أنموذجا

د / شخوم سعدي

-جامعة جيلالي اليابس – سيدي بلعباس

اتجه العلماء المصنفون في المشرق والمغرب خلال الفترة الوسطى إلى وضع مصنفات خاصة بمسيرتهم العلمية، وويضمّنون في هذه الفهرسة أهم ما وقفوا عليه من كتب في مختلف الفنون، وكذا ما أجزوا عليه في كتب ألفت في فن ما وأجازهم عليها شيوخهم وقد سمي هذا عندهم بالبرنامج، أو الفهرسة ؛ ولا تكاد تخلوا فترة من الفترات من هذه العملية العلمية عندهم، ولم تكن الفهرسة تقتصر على الأفراد فحتى الدول كانت تعتني بعملية الفهرسة العلمية الخاصة التي تعني للعالم المنفرد مسيرته العلمية وما ألفه، وتعني في جهة أخرى بعض المكتبات كفهرسة الأمويين للمكتبة الضخمة التي كانت لهم بقرطبة في الأندلس، وقد كانت الفهرسة بمعناها العام عندهم تعني بالتقريب صورة البيبليوغرافيا المتداولة عندهم، سواء الموجودة بين أيديهم أو في غير بلدهم وحتى في الفترات التي سبقتهم.

ومع مرور الزمن كان هناك اتجاهان في الفهرسة، اتجاه التجربة الشخصية والتعامل مع الكتب التعليمية والعلمية وهو ما عرف بالبرنامج، والثاني إعداد قوائم خاصة بمكتبة معينة بذكر أهم معلومات، وإن كان البرنامج أكثر ظهورا من فهرسة المكتبات باعتبار أنه وجه من أوجه الحركة العلمية، فإن فهرسة المكتبات ظلت خافتة مقارنة بالصورة الأولى التي هي أقرب لرصد الكُتبي، وفي الفترة الوسطى كانت فهرسة أو برنامج أبو العباس احمد بن أحمد الغبريني من أهم ما بقي من برامج وقد احتوت على أهم الكتب المتداولة بين العلماء في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، في مختلف الفنون العلمية التي كانت في بجاية إبان حكم الحكم الحفصي المحلي بها (أبو زكريا يحي المنتخب لإحياء دين الله بن إبراهيم (683-698 هـ /) و، قد تطور هذا المفهوم إلى استعمال الثبت كثبت الندرومي، واستعمال الإجازة كإجازة البوني، وظل لفظ الفهرسة مستعملا مثل فهرسة مرويات محمد بن عبد الكريم المغيلي وغيرها، وقد حملت هذه المصنفات أهم ما كان متداولا في الفترة الوسطى من كتب ؛ فهي أعطت صورة للمكتبات.

و المراد من هذه الدراسة هو الإهتمام بمخطوطات علوم الطبيعة والعلوم العقلية دون سواها ؛ وذلك نظر لأن الاختصاصات الأخرى مثل اللغوية والأدبية والدينية والتاريخية نالتها سهام البحث والتقصي من قبل مختصيها، أما هذا الصنف فلم يتوجه إليه الباحثون الجزائريون إلا من باب الإشارة أحيانا، وذلك أن المختصين في هذه الفنون كان تكوينهم – ولازال – باللغة الفرنسية، وتوجههم هو التعامل المباشر مع الدراسات الحديثة دون التعامل مع كتب التراث في هذا الباب ؛ إذ أنهم أقرب إلى فهم بعض المصطلحات والألفاظ المستعملة في

Scanned by CamScanner

هذه المخطوطات، وغير المختصين سيبذلون جهدا مضاعفا إذا حاولوا، وهو أهم ما يجده الباحث والدارس في هذا الباب إذا لم يكن من المختصين إضافة إلى أنه هناك بعض المصطلحات العلمية المتداولة في الفترة الوسطى والمعاصرة التي لم تعد مستعملة الآن في هذه العلوم تلزم الباحث والدارس العودة إلى أمهات الكتب في هذه الفنون والكتب الإصطلاحية التي ألفت في الفترة الوسطى والمتأخرة منها.

و من أهداف هذا العرض تقييد مضان ومخطوطات هذه العلوم، حتى يتسنى للباحثين –مستقبلا التعامل معها ؛ إما بمزيد من التحليل- عوض الوصف - الذي سيتقصر عليه هذا العرض،و محاولة إيجاد مقاربة علمية تاريخية بين حال هذه العلوم في العصر الوسيط والحديث وبين ما هو متداول من هذه العلوم.

1. المحاولات الأولى للفهرسة واهتماماتها بالعلوم الكونية:

قام الكثير من الدارسين والباحثين والمهتمين بفهارس خاصة بالعلوم المؤلفة في المغرب الأوسط والجزائر[1]، إلا أن القليل اهتم بالعلوم الكونية أو كما يسميها ابن خلدون بالعوم العقلية والطبيعية، فلا نجد دراسة فهرسية أو متابعة لهذه العلوم سواء في العصر الوسيط أو الفترة العثمانية أو حتى تلك الخاصة بالمكتبة الوطنية وغيرها من الخزائن في الجزائر، على غرا ما قام به فؤاد سيزكين في التراث العربي أو كوركيس عواد في مصادره[2] وما قام به سامي خلف حمارنة وصلاح محمد الخيمي بالمكتبة الظاهرية[3] أو محمد العربي الخطابي في فهارس الحسنية[4] وأخيرا ما قام به الدكتور أحمد الطاهري في فهارس الخزانة العامة المغربية، غير أننا لا نجد مثل هذه المحاولات في الجزائر، إذ أن المحاولات الأولى اتجهت إلى الاهتمام العام بالمخطوطات هي في أحسن الأحوال تعتمد المنهج الوصفي، وإذا أردنا تخصيص العرض لهذه المخطوطات، فيمكن القول أن طريقة التبويب هي المظهر الوحيد الذي يمكن من خلاله الحديث عن مثل هذا النوع من الفهرسة، وإضافة إلى ما ذُكر أعلاه من أسباب ضعف التوجه نحو هذا النوع من الفهرسة، فإن قلتها –مقارنة بكتب أخرى خاصة الفقهية-، وبطبيعة الحال فإننا سنجد أن فهرسة فانيون هي من أهم ما صنف في الفهرسة، وذلك للأسباب التالية:

- تعدد أبواب المصنفات في هذه العلوم: الصيدلة والطب والفلك والرياضيات.

- اعتماد المنهج الوصفي والتدقيق فيه بحيث أنه يكفي للباحث الوقوف على فهرسته دون العودة إلى المخطوط الأصلي في غالب الأحيان.

- إعطاء معلومات إضافية حول المخطوط ؛ مثل كونه طبع، أو له مضان أخرى غير المكتبة الوطنية وهكذا.

- التعريف بالمؤلف تلميحا او إحالة إلى مصدر او مرجع.

- كثرة كتب هذه المكتبة مقارنة بالمكتبات الأخرى العامة والخاصة فمجمل عدد المفهرس إلى حدّ الآن[5]، وبلغ عددها الإجمالي حوالي تسعين مخطوطا[6].

2. المكتبة الوطنية والريادة في الفهرسة العلمية:

Scanned by CamScanner

بأخذ الاعتبار بالعامل الأخير يمكن القول بأن المكتبة الوطنية الجزائرية هي أكثر المكتبات الجزائرية المحلية الزاخرة بمخطوطات علوم الطبيعة والعلوم العقلية، ويمكن فهرسة المخطوطات الموجودة بها الخاصة بهذه الفنون مرة ثانية رغم فهرسة فانيون وذلك للعوامل التالية:

- وجود بعض المخطوطات التي لم يتمكن فانيون من معرفة أصحابها فأشار إليها وإلى أسماء أصحابها دون تعريف أصحابها ولا حتى ذكر سنة وفاته –كعادته- ولعل من أبرزها مخطوط " **المنحة القدوسية في الأدوية الناموسية**" لأحمد بن محمد بن علي سحنون الراشدي[7] (القرنان الثالث عشر والرابع عشر الهجريين/ الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين) والملفت للانتباه أن هذا المخطوط بخط يد المؤلف مما يمكن اعتباره من نوادر المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية[8].
- كثير من المخطوطات العلمية لم يقم فانيون بفهرستها أو أغفلها ومنها التي قام المفهرس عبد الغني بيوض بفهرستها، مثل اللمع في العلم لصاحبه شهاب الدين احمد بن محمد بن علي[9].

تواصل توافد المخطوطات التي تقتنيها المكتبة الوطنية الجزائرية غما إهداء أو شراء مثل فهرسة مكتبة بن حمودة بالمكتبة الوطنية الجزائرية، التي نجد ضمنها شرح المنظومة لأبي عبد الله محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي أو الشنجيطي كما كُتب[10].

- اعتماد الكثير من الجزائريين على المخطوط في التأليف رغم ظهور الطبع، وهذا حتى فترات متأخرة من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فنجد في المكتبة الوطنية بعض المخطوطات التي ألفت في بداية القرن العشرين مثل مخطوط السيف المسلول في قطع رأس المهدي الجهول لصالح بن المهنا القسنطيني، ونجد في موضوعنا مخطوط في الحساب محمد بن مالك بن محمد الموهوب الزواوي (حيا 1887/1305م) تحفة السرور في أعمال الصحيح مع الكسور، في الجبر.

3. نماذج لبعض المخطوطات العلمية بالمكتبة الوطنية

هذه نماذج لبعض المخطوطات التي لا توجد في فهرس فانيون بالمكتبة الوطنية الجزائرية والملاحظ أن أغلبها ألفت في فترات متأخرة

- تحفة السرور في اعمال الصحيح مع الكسور، في الجبر

-رقمه ح(42).

-محمد بن مالك بن محمد الموهوب الزواوي (حيا 1887/1305م)

-بدايته " بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وإلى الله سبحانه عاقبة المور والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا،،،،و بعد فهذه تحفة السرور في اعمال الصحيح مع الكسور بطريق الكسر العشار ينتفع بها المبتدي إن شاء الله ويرجع إليها المنتهي،،،،،"

-نهايته " والسنتيم عبارة عن عشر الواحد الصحيح،،،،، وثلاثة اخماسه ستون وأربعة أخماسه ثمانون كما لايخفى، وبما أشرنا له الكفاية من الكسر حسب العشار حسبما يسر الله،،، والحمد لله رب العالمين"

Scanned by CamScanner

-رقمه 2503 عدد اوراقه من 1 الى ق ؟

-خط مغربي مسطرة مختلفة من ورقة إلى أخرى من 17 إلى 18

-أبعاده 185 ×105 و185 × 103 سم

-خط مغربي بمداد أسود واحمر

-ملاحظة:نسخة أخرى بخط الناسخ عمار بن عيسى بن الطالب

-تبدا بـــ: " بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين،،، وبعد سميتها تحفة السرور في أعمال الجمع مع الكسور بطريق كسر العشار في تقييد حسن الشيخ القلصاد(كذا والأصح القلصادي)...لينتفع بها المبتديء ويرجع إليها المنتهي

و له ايضا:

- عروس زفت في اختصار النسبة

-يبدا بـــ:".....و بعد فهذه (كذا) تقييد سميته سبه؟ عروس زفت في اختصار النسبة للمحاصات إذا كثرت أجزاؤها وتباينت وكذا مسائل الفرائض إذا امتدت فروعها وتشعاعبت (كذا) واستفرقت وهو باب مهم يحتاج إليه الطالب.....

و ينتهي بـــ:"...و معناها على ترتيب العشرة ألف ألف وماية وعشر عشر وجزء من ناية وجزء من ألف وجزء من عشرة فإن كان القياس بالمتر مثلا تقول مُديه ميزاعني عشرة ألف كمل التأليف....و لامعبود سواه "

رقمه 2503ضمن مجموع (رقم02)

عدد الأوراق 31

17 سطرا في كل ورقة

أبعاده 19ّ×12

أو 19،5×12،5

الخط مغربي

جداول على ق 21 وو 22 ظ

مداد احمر واسود

و حسب ما جاء في المخطوط فإن المؤلف كان يعمل ترجمانا لدى السلطات الفرنسية

- نسخة أخرى تحت رقم:2386

لكن بنسخ عمار بن عيسى بن الطالب

كمل من نسخه بتاريخ 17 جمادي الثانية 1309هـ

Scanned by CamScanner

يبدا بـــ:" بسم الله الرحمن الرحيم...و بعد فهذه (كذا) تقييد سميته سبه؟ عروس وفت في اختصار نسبة المحاصاة إذا كثرت أجزاؤها وتباينت وكذا مسائل الفرائض إذا امتدت فروعها وتشعاعبت (كذا) واستفرقت وهو باب مهم

و ينتهي:"....و للموصي له الأول اثنان من الصحيح وسبعة وثلاثون سنتما للثاني واربعة عشر سنتما وللثالث واحد صحيح وتسعون سنتم مثل ما للزوجات وللرابع واحد صحيح وثلاثة وأربعون سنتما انتهى"

23 سطرا 19×12سم

جداول ق45 ظ 64 ظ و47 ظ

الخط مغربي

- سهام الربط في المخمس خالي الوسط، لسحنون بن عثمان بن سليمان بن أحمد بن أبي بكر المداوي الونشريسي (حيا 1037هـــ / 1627م) وهو في الحساب رقمه **2366**

البداية:" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي وفق من شاء من عباده إلى ذكره فهم بذلك له حامدون،،،،،،و بعد فيقول العبد،،،،،،، قد سألني بعض الإخوان تحديد المغلل في كيفية استعمال المخمس خالي القلب وتصحيح أوتاره فأجبته بعد استخارة.....

ينتهي بـــ:" .....و أسأل التضرع ة الابتهال أن يبلغنا من مرضاتنا غاية الآمال بجاه أكرم الخلق على الله سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وسلام على جميع الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين "

وهو ضمن مجموع من ق1 وجه إلى ق5ظ

أبعاده 5،21سم ×17

24 سطرا في كل ورقة

جداول توضيحية 1 ظهر وق5 و مداد أسود واحمر

تسفير بالورق المقوى

هوامش حول النص

نشرته مكتبة بريل بيلدن في 1233هـــ

هذا الكتاب في أسرار الحروف أو علم الجفر

- مباديء السالكين في رجز ابن الياسمين

في الجبر لأحمد بن قنفذ القسنطيني

Scanned by CamScanner

يبتدأ بـــ:" بسم الله الرحمن الرحيم..أما بعد الحمد لله وحده حمد....فإني قصدت هنا شرح رجز ابن الياسمين في الجبر والمقابلة بأمثلة وجيزة تعين الطالب على فهمه وسميته مباديء السالكين في شرح رجز ابن الياسمين والله الموفق للصواب بفضله....

ينتهي بـــ ".....كان من جنسه طرح منه وإلا فلا والخارج من هذا المثال المفروض على النحو المذكور ستة كعوب وخمسون سيئا؟ إلا خمسة وثلاثين مالا فقس عليه وفيما أردت كفاية وصلى الله على سيدنا محمد"

الناسخ: علي بن العربي بن حمودة الشريف "

عدد اوراقه 10 ضمن المجموع

أبعاده: 30،2 × 23'2سم

الخط مغربي

المداد أحمر وأسود

فرغ المؤلف من تأليفه يوم الخميس 4 جمادى الأولى 778هـــ

اسم المؤلف	سحنون بن عثمان بن سليمان بن أحمد بن أبي بكر المداوي الونشريسي (حيا 1037هـــ / 1627م)
عنوان المخطوط	مفيد المحتاج في شرح السراج
اسم الناسخ	محمد بن عبد الكريم بن محمد البجاب الميلي
رقمه	2694
عدد الأوراق	25 ورقة
عدد الأسطر	27
البداية	بسم الله الرحمن الرحيم...الحمد لله الذي رفع السموات وزيّنها بالنجوم الزاهرات وبعد يقول العبد الذليل المفتقر إلى مولاه الجليل أبو بكر اليديري...ولما ٍايت تألف الشيخ عبد الرحمن المسمى بالسراج في علم الفلك...."
النهاية	"....و التأليف أحق من التصنيف لأنه يراعى فيه مناسبة الكلام لبعضه بخلاف التصنيف والناظم أطلق التأليف على التصنيف لأنه لم يراعي مناسبة إذا اختبرته....صلاة وسلاما سخرها ليوم القرار"
المداد	أسود واحمر
تاريخ النسخ	ليلة الخميس 20 جمادى الولى 1263 هـــ / 1846م
الخط	مغربي

Scanned by CamScanner

الطبع	طبع هذا الكتاب طبعة حجرية سنة 1314 وفي مصر 1315هـ
اسم المؤلف	شهاب الدين احمد بن محمد بن علي
عنوان المخطوط	اللمع في العلم
إسم الناسخ	
رقمه	2090(بيوض)
البداية	قال شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي عرف(كذا) بان الهاشم....في تأليفه المسمى باللمع في العلم الحساب ما نصه: صفة فتوى في العلم الحساب هل هو واجب أو مندوب..."
اسم المؤلف	محمد بن أبي الحسن علي الصنهاجي
عنوان المخطوط	الصنهاجية
اسم الناسخ	
رقمه	157-"80"
عدد الأوراق	20/ 17
عدد الأسطر	
البداية	الحمد لله الذي خلق السموات والأرض
تاريخ النسخ	القرن الثالث عشر الهجري
الخصائص	بها جداول على عرض تلمسان- وهو بمكتبة الزاوية الحمزية وهناك نسخة بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1664، وهو يعود إلى القرن الثالث عشر حسب فانيون.
الأبعاد	21،2سم×14،1سم
الخط	
اسم المؤلف	خليل بن إسماعيل الجزائري
عنوان المخطوط	الذخائر النفيسة لدفع الأمراض العويصة
اسم الناسخ	
رقمه	1763
عدد الأوراق	280
عدد الأسطر	17
البداية	نحمدك إلها كتب على نفسه الرحمة

Scanned by CamScanner

النهاية	
المداد	خط تركي
تاريخ النسخ	القرن الثالث عشر هجري
الخط	
الخصائص	ملخص للفصول الثلاثة الأولى لداوود اللأنطاكي
الأبعاد	21×9،134 سم
اسم المؤلف	التيفاشي (أحمد بن يوسف)
عنوان المخطوط	أزهار الأفكار في خواص الحجار
اسم الناسخ	
رقمه	1502
عدد الأوراق	66
عدد الأسطر	21
الخط	مغربي
الأبعاد	208×155مم

الهوامش:

[1] د/ يمكن العودة غلى مقال:د/ عبد الكريم عوني، التجربة الجزائرية، ضمن:التجارب العربية في فهرسة المخطوطات (ص-ص:193-270)،ندوة عقدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تنسيق فيصل الحفيان، طبع معهد المخطوطات العربية – القاهرة،1998.

[2] كوركيس عواد، مصادر النباتات الطبية عند العرب، المجمع العلمي العراقي، بغداد 1406هـ/1986م.

[3] حمارنة (سامي خلف) و الخيمي (صلاح محمد)، مخطوطات الطب والصيدلة بالمكتبة الظاهرية، مطبعة مجمع اللغة العربية بدمشق، 1401هـ/1981م (بمجلدان).

[4] قام محمد العربي الخطابي بإعداد أربعة فهارس هي على التوالي:

-فهارس الطب والصيدلة والبيطرة والحيوان والنبات (المجلد الثاني)، به مائتان و ثمانية وثمانون عنوانا،،طبع بالرباط في 1402هـ/1982، بمطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء.

-الفهرس الوصفي لمخطوطات الرياضيات والفلك وأحكام النجوم والجغرافيا، طبع بعد الأول بسنة، وبه خمسمائة وتسعة وثمانون عنوانا لمخطوط مفهرس (مطبعة المعارف الجديدة بالرباط).

Scanned by CamScanner

-الفهرس الوصفي لمخطوطات المنطق وآداب البحث والموسيقى ونظم الدلوة والفنون الحربية، وجوامع العلوم، والذي بهم في هذا الفهرس وجود مستدرك على الفهرسين السابقين، طبع بمطبعة النجاح الجديدة سنة 1405هـ/1985م.

-الفهرس الوصفي لمخطوطات الكيمياء وتعبير الرؤيا والعلوم الخفية / طبع بعد السابق بسنة (1406هـ/1986م) بمطبعة النجاح الجديدة،و قد فهرس فيه خمسمائة وسبعة وستون مخطوطا.

[5]فكثير من المخطوطات في المكتبة الوطنية لم يتم فهرستها، وذلك أن الكثير مازالوا يتبرعون ببعضها، رصيد المكتبة ي تزايد يقابله فهرسة هي بدوية تعتمد على تجربة عمال المكتبة ومذكرات الطلبة والباحثين.

[6] Emile Fagnan , catalogue général des manuscrits de la bibliothèque nationale d'Algérie ,2e édition (bibliothèque nationale d'Algérie) ,1995 ,p-p:396-418 et ,p-p:486-502.

[7] وهو مجلدان تحت الأول تحت رقم 1768 والثاني 1769 ؛ والأول يتكون من مائة وثلاثة وستون ورقة والثاني من مائة واثنان وستون ورقة، والمسطرة مختلفة فالأول مسطرته 215/337مم والثاني 215/332مم، إلا أن لهما نفس عدد الأسطر.

[8] مقدم (رشيد)،من نفائس ونوادر المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية ونوادرها، مخطوط قيد الطبع، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

[9] فتيحة بونفيخة: الانتاج الفكري الجزائري المخطوط في المكتبة الوطنية: دراسة تحليلية للمحطوطات التي لم تشملها عملية الضبط البيليوغارفي، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في علم المكتبات والتوثيق، اشراف الدكتور عبد اللطيف صوفي، معهد علم المكتبات والتوثيق جامعة الجزائر(جزءان)، 1998-1999م.

[10]وهو شرح لنظم في الحساب وتليه ورقة ليست منه في معرفة القبلة والوقت تحت رقم ح(37) هناك رقم بأعلى الكراسة هو 149.

Scanned by CamScanner